ملف الملف

كتب كثيرون عن نضال الشعوب بحثا عن مستقبل افضل، والتاريخ مليئ بقصص الشعوب التي حاربت طويلا وقدمت الكثير من التضحيات للحصول على حريتها والحياة التي تستحق ، وقال احدهم يوما معلقا على تضحيات الشعوب : يمكنك ان تسحق الازهار ، لكن لا يمكنك ان تمنع قدوم الربيع .. قصص كثيرة فيها الكثير من العبر والدروس للشعوب الاخرى التي استسلمت لليأس وتركت الحبل على الغارب لمن يظلمها ويسرق اموالها ويدمر حاضرها ومستقبلها ..
ومن بين القصص الرائعة لثورات الشعوب على من يسلبها ابسط حقوق الحياة ، ثورات الغناء في استونيا ولاتفيا وليتوانيا ١٩٨٧ ـ ١٩٩٠ والتي تواصلت اربع سنوات وانتهت بانتصار شعوب هذه البلدان على الاتحاد السوفيتي السابق ونيل الاستقلال والحرية والديمقراطية ، لتصبح اليوم انموذجا للرقي والتقدم والتطور الذي يحيى فيه الانسان بأفضل حال .. قصة تستحق ان تقف المدى امامها في ملف سيتوزع على جزئين .. تنقل فيهما كيف حققت هذه الشعوب حلمها بالحرية مستخدمة الغناء وسيلة بدلا من العنف ، بينما في احدى محافظات بلدنا يمنع الغناء في المهرجانات ، مثلما تمنع اشياء اخرى عديدة قد تكون ناجعة في وضع النقاط على الحروف في الكثير من ملفاتنا المعقدة .. الجزء الاول من الملف سيكون في استونيا التي انطلقت منها شرارة ثورة الغناء ثم امتدت الى لاتفيا ولتوانيا .

■اعد الملف / جمال القيسي

هكذا تنتزع الشعوب الحرية والديمقراطية

بالغناء حقق الاستونيون الاستقلال وبنوا دولتهم التي صارت اليوم انموذجا لشرق اوربا وغربها !

١-٢

تاريخها عمره ١١ الف سنة !

هذه هي اسباب " ثورة الغناء " التي منحت الاستقلال لجمهوريات البلطيق الثلاث

وفقا لأحدث التسويات فإن استونيا قد بدأت حوالى عام ٨٥٠٠ قبل الميلاد ، على الفور بعد العصر الجليدي. ، و قد خضع الاستونيون على مدى قرون للحكم الدنماركي ، الألماني ، السويدي والروسي . وبدأ الحكم الخارجي في استونيا فى عام ١٢٢٧. في أعقاب حرب ليفونيان الصليبية حيث قام كل من الدنماركيين والالمان بغزو البلاد. فى الفترة من عامى ١٢٢٨-١٥٦٢ ، تحولت استونيا إلى دولة تيرا ماريانا الصليبية ، التي أصبحت جزءا من Ordensstaat ، وبعد تدنيها تم تشكيل اتحاد ليفونيان. خلال تلك حقبة تركزت الأنشطة الاقتصادية حول الرابطة الهانزية. في فترة العقد الذى بدأ عام ١٥٠٠ وقعت استونيا تحت الحكم السويدي ، حتى عام ١٧٢١ ، الى أن تم التنازل عنها للامبراطورية الروسية. و أدت فترة استوفايل التنويرية (١٧٥٠-١٨٤٠) إلى الصحوة الوطنية في منتصف القرن التاسع عشر. في عام ١٩١٨ صدر إعلان استقلال استونيا ، حيث تلتها حرب الاستقلال الاستونية (١٩١٨-١٩٢٠) ، والتي أسفرت عن معاهدة تارتو للسلام والاعتراف باستقلال استونيا إلى الأبد. و خلال الحرب العالمية الثانية ، احتلت الأراضى الاستونية و تم ضمها للمرة الأولى للاتحاد السوفياتي ، و احتلها في ما بعد الرايخ الثالث ، إلا أن الاتحاد السوفياتي أعاد احتلالها في عام ١٩٤٤.

واستعادت استونيا استقلالها في ٢٠ آب ١٩٩١. ومنذ ذلك الحين شرعت في تنفيذ برنامج سريع للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي. أما اليوم ، فقد اكتسب البلد اعترافا من الجميع وذلك بفضل الحرية الاقتصادية على أراضيها ، وتكييف التكنولوجيات الجديدة و ما وصل إليه اقتصادها ليكون واحدا من أسرع اقتصاديات العالم نموا منذ عدة سنوات ، ومع ذلك ، فإن اقتصاد استونيا يعتبر ثاني اكثر الاقتصاديات تضررا بين السبع والعشرين دولة التى تمثل أعضاء الاتحاد الأوروبي وذلك جراء الأزمة الاقتصادية ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
وبات الاستقرار البشري في استونيا متاحا منذ ما يقرب من ١١٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠ سنة مضت ، وذلك عندما شارف العصر الجليدي على الانتهاء. وتعتبر مستعمرة بوللى أقدم المستعمرات في استونيا ، والتي كانت تقع على ضفاف نهر بارنو ، بالقرب من بلدة سندي، بجنوب استونيا. وفقا لتقديرات الكربون الإشعاعي ، تبين وجودها منذ ما يقرب من ١١٠٠٠ سنة مضت ، في بداية الألفية التاسعة قبل الميلاد.

ليس سرا أو خبرا طريفا ، بل هو حقيقة عاشها العالم قبل ما يقرب العشرين سنة تقريبا ، فقد تمكنت جمهوريات البلطيق الثلاث استونيا ولاتفيا وليتوانيا من تحقيق الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي السابق ١٩٨٧ - ١٩٩٠ فيما عرف انذاك بثورة الغناء .
كانت جمهوريات البلطيق الثلاث استونيا ولاتفيا وليتوانيا مستقلة ما بين الحربين العالميتين، لكن الاتحاد السوفييتي ضمها عام ١٩٤٠ خلال الحرب العالمية الثانية بموجب الاتفاق السري بين ستالين وهتلر عام ١٩٣٩ ، ثم ادت اجواء الارهاب الفكري والجسدي في عهد ستالين ثم استمرار التشدد وإن بوتيرات اقل في عهد كل من خروتشيف وبريجنيف ثم اندروبوف وتشيرننكو الى منع اي تحرك جدي بهدف المعارضة والانفصال .
واستمر الوضع على ما هو عليه الى ان جاء غورباتشيف الى السلطة في ١١ آذار ١٩٨٥.
وصل غورباتشيف في حقبة صعبة جدا على الاتحاد، حيث كان التضخم في تصاعد والنمو في تراجع وشبح المجاعة يخيم فوق أجزاء عديدة من اكبر دولة في العالم .
الاتحاد السوفييتي الذي كان لايزال في خضم الحرب الباردة مع الغرب والذي كان يضخ المساعدات الاقتصادية والعسكرية الى دول العالم الثالث من المعسكر الشرقي ليدعم سياساته الخارجية وجد نفسه على حافة الانهيار.
لقد كان انهيارا حتميا، لذا كان الاتحاد السوفييتي يحتاج الى مشروع لمواجهة الانهيار بأقل قدر من الاضرار، وقد قدم غورباتشوف هذا المشروع على أساسين البيروسترويكا (اعادة البناء) والـ «غلاسنوست» (منح حق التعبير بحرية).
لم يغب عن بال غورباتشيف ما كانت مناطق الاتحاد تشهده من تغيرات سلوكية واجتماعية وعودة للمشاعر الوطنية والدينية والتعددية خاصة في الشعر والادب والسينما والموسيقى مع ازدياد التأثير الغربي والضغوط الاقتصادية، وكان يعرف ان هذا الرماد الذي يغطي البلد «الجبار» الذي يمتد من اواسط اوروبا الى اقصى آسيا في شمال العالم يخفي تحته ما يخفيه من جمر ، وقد استشعر غورباتشيف الانهيار القادم فكان دوره الاساسي ان يهندس الظروف المواتية لمواجهته بأقل قدر من الاضرار ، كما انه نجح في الظهور بمظهر «المجدد».
وكان لابد أن يبدأ الجليد الذي غطى مشاعر القومية ومطامح الاستقلال في مرامي الامبراطورية السوفييتية بالذوبان وهذا ما حصل.
في استونيا واعتبارا من ١٩٩٧ كادت الاغاني الوطنية تسود في المهرجانات المحلية وبدأ التمايز عن الاتحاد السوفييتي بشعبه وأرضه وحضارته واستفاقت ذكريات الظلم والقمع والارهاب الموروث من الحقبة الستالينية وتحولت الى وقود لرفع الصوت في عصر «الغلاسنوست» والمناداة بالاستقلال.
كانت استونيا المبادرة لقربها من فنلندا وتأثرها بحياة الشعب الفنلندي وعاداته وتقاليده من خلال وسائل اعلامه التي كانت تلتقط في استونيا.
لقد كان غورباتشيف والسوفييت يرون ان مشاعر التحرر لن تبلغ حد مطالبة شعوب الاتحاد غير الروسية بالانفصال وبالاستقلال النهائي والطلاق البائن من ارث الحقبة السوفييتية، الا ان الرغبة بتغيير الواقع والعودة الى الجذور كانت اكبر وفرضت نفسها.
في عام ١٩٨٧ امسك عشرات آلاف الحضور بأيادي بعضهم في مظهر يعكس وحدتهم وهنا كانت البداية ، ثم شهدت البلاد تظاهرات تقدمتها فرق موسيقية تعزف الاناشيد والاغاني الوطنية وتكرر الامر في مهرجان العاصمة «تالين» الغنائي عام ١٩٨٨ الذي حضره ٣٠٠ الف استوني... وتوالت المهرجانات التي اطلق عليها اسم (طريق البلطيق) والتي كانت المكان الاهم للتعبير عن المشاعر الوطنية الجياشة ، حيث تمدد ما يقرب من أكثر من مليوني نسمة مكونين بذلك سلسلة بشرية عبر ليتوانيا ، لاتفيا واستونيا.
حيث لدى جميع هذه الدول الثلاث خبرات مماثلة عن الاحتلال وطموحات مماثلة لاستعادة الاستقلال. وقد صدر إعلان السيادة الاستونية فى يوم ١٦ تشرين اول ١٩٨٩ وأعلن الاستقلال رسميا في ٢٠ اب ١٩٩١ ، وتمت إعادة تشكيل الحكومة على ما كانت عليه قبل عام ١٩٤٠ ، خلال محاولة نشوب انقلاب عسكري سوفيتي في موسكو. وكانت ايسلندا أول دولة تعترف دبلوماسيا باستقلال استونيا الجديدة .. وغادرت آخر القوات الروسية في ٣١ آب ١٩٩٤ ، واستمرت «الثورة الغنائية» أو «ثورة الغناء» كما يصطلح على تسميتها ٤ سنوات.
حاول السوفييت الزحف بدباباتهم عام ١٩٩١ لمنع اعلان الاستقلال، لكن الاذاعة الاستونية دفعت الناس بتأثير الاغاني الوطنية وخطابات التحدي والحماس الى الخروج من بيوتهم والتصدي للدبابات كدروع بشرية ومواجهتها بالغناء.
وقد نجحت الدعوة التي ترافقت مع احداث مماثلة في الجارتين لاتفيا وليتوانيا لتنال الدول الثلاث استقلالها، حيث اعلن استقلال استونيا في ٢٠ اب ١٩٩١ وليتوانيا ولاتفيا، في ايلول من العام نفسه ، ولولا بعض القتلى والجرحى الذين سقطوا في مناوشات بين القوات السوفييتية او مؤيديها وشعوب الدول الثلاث لأمكن القول ان الثورة الغنائية كانت ثورة سلمية بالكامل.

الثالثة عالميا في حرية الصحافة والناخب فيها يصوت عبر الانترنت

تتكون حكومة استونيا ، أو السلطة التنفيذية من رئيس وزراء استونيا ، الذى يرشح من قبل الرئيس ويتم قبوله من هيئة البرلمان. حيث تمارس الحكومة السلطة التنفيذية وفقا لدستور وقوانين الجمهورية ، وتتألف من ١٢ وزيرا بمن فيهم رئيس الوزراء. كما أن لرئيس الوزراء أيضا الحق في تعيين وزراء آخرين ، الذين سيوكلون للتعامل مع المواضيع والذين لن يكون لهم وزارة يتبعونها للسيطرة عليهم ، ليصبح بذلك وزيرا بلا حقيبة برلمانية والذى يشغل حاليا منصب وزير المناطق ، و لرئيس الوزراء الحق في تعيين ٣ وزراء من هذا القبيل كحد أقصى ، ويعتبر ١٥ وزيرا الحد الاقصى للوزراء المعينين في حكومة واحدة . كما يعرف أيضا باسم مجلس الوزراء. وتنفذ حكومة البلاد السياسة الداخلية والخارجية ، وتتشكل من قبل البرلمان ، وتدير وتنسق عمل المؤسسات الحكومية وتتحمل المسؤولية الكاملة عن كل ما يحدث داخل السلطة من السلطة التنفيذية. وتعد الحكومة ، برئاسة رئيس الوزراء ، ممثلة القيادة السياسية في البلاد وهى التى تتخذ القرارات باسم السلطة التنفيذية برمتها.
وواصلت استونيا تطوير الدولة الكترونيا اضافة الى تطوير الحكومة الإلكترونية. حيث يستخدم التصويت عبر الانترنت في الانتخابات التي جرت في استونيا. وقد تمت ممارسة أول تصويت عبر الإنترنت في انتخابات عام ٢٠٠٥ المحلية ، وأول تصويت عبر الانترنت في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٧ ، حيث أدلى نحو ٣٠٢٧٥ من الأفراد بأصواتهم عبر شبكة الإنترنت. كما يكون لدي الناخبين فرصة إبطال أصواتهم في الانتخابات التقليدية ، إن أرادوا ذلك. وفي تقرير عام ٢٠٠٧ لقائمة الدول التى تشجع حرية الصحافة العالمية ،صنف معلقو منظمة مراسلون بلا حدود استونيا في المرتبة الثالثة من بين ١٦٩ دولة.

ثقافتها محل تنافس ين غرب أوروبا وشرقها

تشتمل الثقافة فى استونيا على تراث السكان الأصليين ، ممثلا في اللغة الاستونية التى تنحدر من اللغات الفنلندية الأوغرية وساونا ، مع هذا الاتجاه السائد في بلدان الشمال الأوروبي ، وأوروبا على الجوانب الثقافية. نظرا لتاريخها وجغرافيتها ،تأثرت الثقافة فى استونيا بتقاليد المنطقة المتاخمة للفنلنديين وبحر البلطيق والشعوب الالمانية، وكذلك التطورات الثقافية في القوى المهيمنة السابقة السويد وروسيا. تقليديا ، تعتبر استونيا محل تنافس بين أوروبا الغربية والشرقية على العديد من المستويات. وخير مثال على هذا الإرث الجغرافى السياسى وجود مزيج نادر من التقاليد المسيحية المعترف بها على الصعيد الوطني : البروتستانتية الغربية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية . مثل الثقافة السائدة في بلدان الشمال الأوروبي الأخرى ، تعتبر الثقافة الاستونية مركزا تعتمد عليه الحقائق البيئية الزاهدة وسبل العيش التقليدية ، والصفات التى تدعو للمساواة على نطاق واسع نسبيا بعيدا عن الأسباب العملية ، والمثل العليا فى القرب من الطبيعة ، والاكتفاء الذاتي .
وتنتمي اللغة الاستونية الى الفرع الفنلندى من اللغات الأورالية. وبالتالي فإن اللغة الأستونية تتصل اتصالا وثيقا باللغة الفنلندية ، التى يتحدث بها السكان على الجانب الآخر من خليج فنلندا ، و هي واحدة من اللغات القليلة في أوروبا التي لا تنتمى للغات الهندوأوربية الأصل. وعلى الرغم من وجود بعض التداخل في المفردات بسبب الاقتراض ،بسبب وحدة الأصل ، إلا أنه لا توجد علاقة وثيقة بين اللغة الاستونية وبين جيرانها من اللغات السويدية ، اللاتفية ، والروسية ، والتي تعتبر كلها من اللغات الهندوأوربية. أما اللغة الروسية فيتحدث بها السكان المنحدرون من أصل استوني ممن تتراوح أعمارهم بين الثلاثين و السبعين عاما على نطاق واسع كلغة ثانية، وذلك لأن الروسية كانت تعتبر اللغة غير الرسمية للاستونيين الاشتراكيين ذوى الإنتماءات السوفياتية منذ عام ١٩٤٤ و حتى عام ١٩٩١ كما كانت تدرس كلغة ثانية إلزامية خلال الحقبة السوفيتية. أما الجيل الأول و الثاني من المهاجرين الصناعيين من مختلف أنحاء الاتحاد السوفياتي السابق (وخصوصا روسيا) لا يتكلمون اللغة الاستونية. هذه الفئة الأخيرة ، معظمهم من الأقليات العرقية الناطقة باللغة الروسية ، فيقيم معظمهم في مدينة تالين العاصمة والمناطق الصناعية و في المناطق الحضرية في إدا فيروما. أما اللغات أجنبية الأكثر شيوعا والتى يتعلمها الاستونيون هي اللغات الانكليزية ، الألمانية والروسية والسويدية و الفنلندية.

البرلمان أساس السلطة في البلاد

تسير السياسة في استونيا في إطار من ممثل للجمهورية، و النظام البرلماني ديمقراطية تمثيلية، حيث يرأس وزير الخارجية حكومة استونيا وفقا لنظام متعدد الأحزاب.
وينتخب البرلمان فى استونيا ، أو السلطة التشريعية الأعضاء من قبل الشعب لمدة أربع سنوات عن طريق التمثيل النسبي ، حيث تعتبر استونيا جمهورية برلمانية ، الديمقراطية التمثيلية ، جمهورية ديمقراطية. ويعمل النظام السياسي الاستونى تحت الإطار المنصوص عليه في وثيقة ١٩٩٢ الدستورية ، ويتألف البرلمان الاستوني من ١٠١ عضو، لهم الحق فى التأثير على قرارات الدولة في المقام الأول وذلك من خلال تحديد إيرادات ونفقات الدولة (تحديد الضرائب وإقرار الميزانية). وفي الوقت نفسه للبرلمان الحق في تقديم البيانات والإعلانات والنداءات لشعب استونيا ، والتصديق على المعاهدات الدولية ، والانسحاب من الدول والمنظمات الدولية الأخرى واتخاذ القرارات بشأن قروض الحكومة .
وينتخب البرلمان عدداً من المسؤولين ومن ثم يعين كبار رجال الدولة ، بما في ذلك رئيس الجمهورية. بالإضافة إلى ذلك ، يتخذ قرار التعيين فى البرلمان بناء على اقتراح من رئيس جمهورية استونيا ، ورئيس المحكمة الوطنية ، ورئيس مجلس إدارة بنك استونيا ، والمراجع العام ، والمستشار القانوني والقائد العام للقوات المسلحة لقوات الدفاع. ويكون لعضو المجلس النيابي الحق فى طلب توضيحات من حكومة الجمهورية وأعضائها. هذا ويمكن للأعضاء في البرلمان مراقبة الأنشطة التي تضطلع بها السلطة التنفيذية وكبار رجال الدولة من المسؤولين المذكورين أعلاه.

جامعات استونيا .. استقلالية في كل شيء

يعود تاريخ التعليم النظامي في استونيا الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر عندما تم تأسيس النواة الأولى للمدارس الرهبانية والكاتدرائية . و نشر الكتاب التمهيدي الأول باللغة الاستونية في عام ١٥٧٥. وتعتبر جامعة تارتو هي أقدم الجامعات التي أنشأها الملك السويدي غوستاف أدولف الثاني فى عام ١٦٣٢. و في عام ١٩١٩ ، تم تدريس الدورات الدراسية الجامعية للمرة الأولى باللغة الاستونية.
أما اليوم فإن التعليم في استونيا ينقسم إلى نوعين هما التعليم المهني و تعلم الهوايات. و يقوم نظام التعليم على أربعة مستويات ، والتى تشمل مرحلة ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي والتعليم الثانوي والعالي. وقد تم إنشاء شبكة واسعة من المدارس و مؤسسات تعليمية مساعدة. و يتألف النظام التعليمي فى استونيا من الدولة ، والبلديات ، والمؤسسات التعليمية العامة والخاصة . ويبلغ عدد المدارس حاليا في استونيا ٥٨٩ مدرسة .
أما التعليم الأكاديمى العالي في استونيا فينقسم إلى ثلاثة مستويات : مستوى دراسات البكالوريوس ، ودراسات الماجستير و دراسات الدكتوراه. وتندمج كل من درجة البكالوريوس والماجستير فى وحدة واحدة في بعض التخصصات ومنها (الدراسات الأساسية الطبية والبيطرية ، والصيدلة ، وطب الاسنان ، و الهندسة المعمارية ، وبرنامج معلم الصف) . و تتسم الجامعات الإستونية العامة إلى حد كبير بالاستقلالية فى القرارت التى تخصها أكثر من مؤسسات التعليم العالي التطبيقية . بالإضافة إلى تنظيم الحياة الأكاديمية في الجامعة ، يمكن لتلك الجامعات تأليف المناهج الجديدة ، ووضع شروط القبول ، والموافقة على الميزانية ، والموافقة على خطة التنمية ، وانتخاب رئيس الجامعة واتخاذ القرارات المفيدة في المسائل الجوهرية. كما أن استونيا لديها عدد معقول من الجامعات العامة والخاصة. ومن أكبر الجامعات العامة جامعة تارتو ، جامعة تالين للتكنولوجيا ، جامعة تالين ، جامعة إستونيا لعلوم الحياة ، أكاديمية استونيا للفنون ، و الكلية الاستونية لإدارة الأعمال حيث تعتبر أكبر جامعة خاصة.